الفصل السابع

الطاغوت الرابع

الساحر

سمي السحر بهذا الإسم لأنه مما خفي ولطف واعتمد الحيلة والخدعة .

والسحر ضربان :

الأول : تخييل لا حقيقة له وهو يعتمد على الحيل العلمية وخفة الحركة ، بحيث يفعل الساحر أشياء يخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به ، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء . قال تعالى : ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾[1] .

الثاني : حقيقة وبه يصل إلى إيقاع الضرر بالآخرين فيفرق بين المرء وزوجه ، ويؤذي به الناس .

وقد يعتمد السحر على العزائم والرقى والنفث في العقد فتؤثر في القلوب والأبدان ، فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، قال تعالى : ﴿ **فيتعلمون منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه** ﴾[2] . وقد علمنا أن الاستعاذة به من شر النفاثات في العقد فقال : ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾[3] . فدل على أنه حقيقة توجب الاستعاذة منها بالله ، لأن النفث في العقد من جملة أعمال السحر .

---

(١) سورة طه آية ٦٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٣) سورة العلق آية ٤ .

ولا يقتصر شر السحر على عامة الناس بل قد يصيب الأولياء والأصفياء والأنبياء ، ولكن تأثيره على الأنبياء لا يصل إلى العقل والقلب ، وإنما هو عرض كالأعراض الظاهرة الأخرى يؤثر على ظاهر الجسم مثل أي مرض آخر يتعرضون له .

روى البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت :

«سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق ، يقال له لبيد ابن الاعصم ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى إذا كان ذات يوم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا ثم دعا ثم قال : « يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟(أي أجابني لما دعوته به) جاءني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي : ما وجع الرجل ؟

قال : مطبوب (أي مسحور)

قال : من طبه ؟

قال : لبيد بن الأعصم ،

قال : في أي شيء ؟

قال : في مشط ومشاطه ـ أي شعر سقط عند التسريح ـ وجف طلعةِ ذكر (أي غشاء الطلع) ،

قال : فأين هو : قال : في بئر ذي أروان .

قالت : فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه .

ثم قال : « يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين .

فقلت يا رسول الله : أفلا أحرقته ؟

قال : لا أما أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً فأمرت بها فدفنت » .

وقد كان الظن : أن انتشار العلم وتوسيع أفق المعرفة يحيل بين الناس وبين اتباعهم السحر ، ولكننا فوجئنا أن الناس في إقبال عليه ، وأكثر ما يكون ذلك في البلاد الفقيرة وحيث ينتشر الجهل بالدين ، وأكثر ما يكون انتشاراً في بلاد الغرب حيث أقاموا له الرايات ، وصار له تلاميذ وأتباع .

ولقد قاوم الإسلام السحر ودعا إلى هدمه والقضاء عليه ، كما وصف عمل الساحر بأبشع الأوصاف ، وشنع على السحرة فعلهم ونعتهم بالفسق والشرك والكفر .

والساحر طاغوت بفعله السحر لتجاوزه الحق وطغيانه فيما يعمل من سحر ليطمس الحق ويقضي عليه، ويصور الباطل في صورة حسنة يقبل عليها الناس .

وقد حاول السحرة الذين جاء بهم فرعون مصر أن يصرفوا الناس عن الحق ، وأن يصدوهم عن موسى عليه السلام وأرادوا أن يؤيدوا فرعون بسحرهم وخدعهم ، فجلعوا حبالهم وعصيهم يخيل لمن ينظر إليها بأنها حيات تسعى ، ولكن معجزة الله لموسى عليه السلام أبطلت ذلك وقضت على سحرهم وكيدهم ، وعلم السحرة أن ما جاء به موسى لم يكن سحراً ، وإنما هو معجزة من الله سبحانه وتعالى ، فأعلنوا إيمانهم بموسى ، وبما جاء به ، وخضعوا بعبادتهم لله وحده ، وآثروه على الحياة الدنيا ، وتحدوا فرعون في تهديده ، ولم يتراجعوا عن إيمانهم .

قال الله تعالى : ﴿ **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقُوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألقِ ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب**

هارون وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبير كم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أيُنا أشد عذابا وأبقى * قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ .

فالسحر غالباً ما يكون نصيراً للباطل والضلال ، وقد يُبنى على الرقى الباطلة ، والكلام الذي يحتوي الكفر والشرك ، وقد يكون من عهود الشياطين ومن وساوسهم الخبيثة .

تكفير الساحر

وصف الله السحرة ومن يتعلم السحر بالكفر في كتابه الكريم فقال : ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون** ﴾[1] [2] .

وهذه الآية الكريمة نستنتج منها الأحكام التالية :

أولاً : نعت الله الذين يتعلمون السحر بأنهم من الذين ينبذون كتاب الله سبحانه وتعالى وراء ظهورهم ، ويكذبون رسوله عليه السلام ، فقال : ﴿ **ولما جاء رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** ﴾[3] ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾[4]

قال السدي : « نبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت »[5] فيكفي وصفاً لمن تعلم السحر أنه نبذ كتاب الله وراء ظهره ، وتركه

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٢ .

*(٢) فرق بين ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وبين ما أنزل على الملكين ببابل الذي منه تعلم ما يفرقون به بين المرء وزوجه .

(٣) سورة البقرة آية ١٠١ .

(٤) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٥) تفسير القرطبي ج٢ ص ٤١ .

هجراً له ، وتكذيباً للنبي الذي جاء به .

ثانياً : إن المتعلم للسحر إنما يتعلم ما يضره[1] ولا ينفعه لقوله تعالى : ﴿ **ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** » وهذا الضرر واقع بهم في الدنيا والآخرة ولذلك قال سبحانه : ﴿ **ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون** ﴾ .

ثالثاً : أن ما يقومون به من فعل السحر ، وإيذاء الآخرين ، والتفريق بين المرء وزوجه هو من عمل الشياطين ، قال الله تعالى : ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه** ﴾ لأن الشيطان تأخذه نشوة الفرح والسرور إذا تمكن من تفريق الزوجين وهدم الأسرة .

فالساحر والشيطان يتعاونان في هذه السبيل حتى يفرقا بين المرء وزوجه ، وهما في ذلك لايملكان حولاً ولا طولاً إلا أن يشاء الله ، فإذا قضى الله أن يقع الضرر عند هذا الأمر كان ووقع ، أما اذا لم يقدر الله ذلك فلن يقع ، لقوله تعالى : ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ .

ومن سنن الله في الكون أن يحصل الإحراق بالنار ، وأن يكون الذبح بالسكين ، وأن يقع الضرر أحياناً بالسحر ، وهكذا كل أمر له سنة يجري عليها ، والله سبحانه وتعالى قادر على تعطيل هذه المسببات متى شاء ، فقد منع الحرق بالنار عندما رُميَّ ابراهيم عليه السلام فيها ، كما أذهب خاصية القطع بالسكين عندما أراد ابراهيم عليه السلام ذبح إبنه اسماعيل عليه السلام ، وهكذا إذا شاء الله أن يوقع الضرر بواسطة السحر وبسببه كان ذلك ، واذا لم يرد لم يكن

---

*(١) كان هؤلاء الذين قد تعلموا السحر هكذا وليس كلّ مسائل السحر هكذا فالحصر لا يصح بهذه الصورة .

إلا ما أراده سبحانه وتعالى .

رابعاً : جاءت الآية صريحة في كفر الساحر ، وأن المتعلم له كافر ، فقال جلا جلاله : ﴿ **وما كفر سليمان** ﴾ وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنه : ما من أحد نسب سليمان عليه السلام إلى الكفر مباشرة ، وإنما نُسب الى السحر لأنه بمثابة الكفر فبرأه الله منه ، « ولم يتقدم في الآية أن أحداً نسبه الى الكفر ، ولكن اليهود نسبته إلى السحر ، ولكن لما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر »[1] وقد أثبت الله كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر فقال : ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ . فقد دلت الآية على كفر الساحر .

وإلى القول بكفره ذهب كثير من فقهاء المسلمين ، منهم الإمام مالك رحمه الله قال : إن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يُقتل ولا يُستتاب ولا تُقبل توبته ، لأنه أمر يستسر به كالزنديق والزاني ، ولأن الله سمى السحر كفراً بقوله : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾[2] وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة .

وقد رُوي قتل الساحل عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين[3] .

وإذا صح ما ذكره ابن تيمية رحمه الله عن أعمال بعض هؤلاء السحرة فإن وصمهم بالكفر هو أصح الأقوال ، قال رحمه الله : «إن كثيراً من هؤلاء يكتبون كلام الله بالنجاسة ، وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل ، إمّا حروف الفاتحة ، وإمّا حروف قل هو الله أحد ، وإمّا غيرهما» .

---

(١) تفسير القرطبي ، جـ ٢ ص ٤٣

* (٢) هذه الآية تدلّ على أن منه ما لا يسبب الكفر.

(٣) لم يذكر القرطبي رحمه الله اسماء السبعة من التابعين الذين قالوا بكفر الساحر .

ويذكر رحمه الله : « أنهم قد يكتبون كلام الله بالدم أو بغيره من النجاسات ، وقد يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان ، أو يتكلمون بذلك »[1] .

ولذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم باجتناب السحر لأنه من الكبائر المهلكات ، روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ! وما هنّ ؟ قال . الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وقد روى الترمذي عن جندب مرفوعاً : « حدُّ الساحر ضربه بالسيف » وقال الترمذي : الصحيح أنه موقوف .

وبهذا الحديث أخذ مالك وأبو حنيفة وأحمد قالوا : يقتل الساحر وروى قتل الساحر عن عمر ، وعثمان ، وابن عمر ، وحفصه ، وجندب بن عبدالله ، وجندب بن كعب ، وقيس بن سعد ، وعمر بن عبدالعزيز ، ولم ير الشافعي القتل عليه بمجرد السحر إلا أن عمل في سحره ما يبلغ الكفر ، وعلى هذا عمل الناس في خلافة عمر رضي الله عنه .

وقد صح عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : « أن أقتلوا كل ساحر وساحرة » قال : « فقتلنا ثلاث سواحر » .

وقد نص ابن القيم رحمه الله : « على أن الساحر مشرك ، لأن السحر لا يتأتى بدون الإشراك بالله »[2].

---

(١) الفتاوي لابن تيمية ١٩ ص ٣٥ .

* (٢) كلام ابن القيم اجتهاد منه وهل تعلّم السحر وعرف أنه لا يكون إلاّ بالشرك بالله .

وبقدر ما يتقرب الساحر إلى الشيطان بالطاعات ، ويبعد عن الله بالمعاصي ، بقدر ما تساعده الشياطين على إضرار العباد ، وايذاء الخلق ، وقد نزع الله من قلوب السحرة ووجوههم الرحمة والعطف ، ونزع من نفوسهم كل خير ، فتراهم يهيمون في كل فساد ، ويفرحون لكل ضرر يوقعونه بالناس .

ومن أعتصم بالله كفاه شر السحر ورد كيد السحرة عنه .

وقد حرم الإسلام على المسلمين الذهاب إلى السحرة لحل مشاكلهم أو شفاء مرضاهم ، أو بقصد الإضرار بالآخرين ، وقد تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من أمثال هؤلاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من تطير أو تُطُيِّر له ، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له ، أو سحر أو سُحِر له »[1] ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : « من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدَّقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم »[2] . وروى ابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم » .

فليرتدع من يؤمن بالله وبرسوله واليوم الآخر عن إتيان السحرة ، وليتب من أتاهم ، أو دعا إليهم ، أو دل عليهم ، أو عرّف بهم .

وعلى كل مسلم أن يبذل النصيحة للمسلمين ليبتعدوا عن هؤلاء السحرة والمشعوذين الخارجين عن دين الله .

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد .

(٢) رواه البزار وأبو يعلى بإسناد جيد .